

من نفحات خطب الجمعة

غزة

حقائق ودروس ووقفات

بعد العدوان



الشيخ

محمد مهدي قشلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان الخطبة: غزوة حقائق ودروس ووقفات بعد العدوان

بقلم: محمد مهدي بن نذير قشلان

مكان الإلقاء: مسجد سيدنا بلال بن رباح - رضي الله عنه - في

عمان - الأردن - ١٢/شوال/١٤٣٥ هـ الموافق لـ ٨/٨/٢٠١٤ م

إن الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً...

وأشهد أن لا إله إلا الله: أعزَّ مَنْ أعزَّ دينه، ورفع مَنْ رفعَ دينه. لما

خاض النبي وأصحابه الكرام غمار معركة أحد، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: " مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فقام أبو

دجانة فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله..، فأعطاه إياه، فأخرج

رضي الله عنه عُصَابَةَ حَمْرَاءَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ (يريد بها أنه سيقاتل

حتى الموت)، فانطلق رضي الله عنه ففلق بسيفه هام المشركين، ثم

راح يتبختر بين الصفوف. رافعاً رأسه، معتزلاً بدينه، فنظر إليه رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: {إنها لمشيئةٌ يبغضها اللهُ إلا في مثلِ

هذا الموطن^(١)} لأنها عزة بالله وعزة بدينه..، ويحق لأبطال غزوة اليوم؛

أن يرفعوا رؤوسهم، معترزين بدينهم، معترزين برجالهم، معترزين بتضحياتهم، معترزين بنصر الله لهم...

نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَافِي بَعْدَ دَاجِيَةٍ كَمَا تَبْلُجُ عَنِ مَكْنُونِهِ السَّحَرِ
لمثل هذا اليوم كانت غزوة تنتظر فاسعدي يا غزوة بدولة عنواها الظفر
فالعدل منبسط والجور منقبض والأمن منسدل والخوف منشم
وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبينا وقائدنا محمداً رسول الله: يُبشِر

أمتة حين يتهددهم عدو من الأعداء المتكبرين المتجبرين على الله
فيقول صلوات الله عليه: { لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ
ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ
لَأَوَاءٍ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ. } قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ
هُمْ؟ قَالَ: "بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ" (٢)

صلى عليك الله يا علم الهدى..، يامن فتحت القلوب قبل الحدود.
وارتقيت بالنفوس قبل الخطوب.. إذا كان الكاتب الإيرلندي
البريطاني برنارد شو يقول: " لو كان محمد بيننا لحل مشاكل
العالم وهو يحتسي فنجان من القهوة " فإننا نقول يا سيدي:

لو شرَّق القوم الكبارُ وغربوا فإليك حتماً منتهى الخطوات
ضلَّت علومهم برغم نبوغهم وتعرضوا لمهالك خطرات.
لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا ما غير دينك سلماً لنجاة

أما بعد فيا أحاب رسول الله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا

في الأرض وَبَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ {القصص: ٥} نعم لقد من الله على المجاهدين في غزة بالصبر والثبات ورباطة الجأش ثم النصر، نعم لقد انتصر الحق على الخنوع والاستسلام....، وهذا ما أكدته أكثر وجُلُّ الصحف الغربية التي اعتبرت^(٣): أن إسرائيل لم تنتصر في غزة؛ بل إن هيبتها ضاعت مرة أخرى أمام صمود المقاتلين فيها..، والحق ما شهدت به الأعداء..، بالرغم ما نزل بإخواننا في غزة من قتل وتدمير وإحراق للأخضر واليابس، على مرآة ومشاهدة من العالم أجمع.. الحصيلة الأولية قرابة (١٨٧٥) قتيل نحسبهم شهداء عند الله .. أما عدد الجرحى فقد قارب (١٠٠٠٠) جريح معظمهم إصابته خطيرة.. لقد هدموا البيوت والمساجد على رؤوس المسلمين- كما فعل تلامذتهم في حمص وحلب وريف الشام وغيرها- وأمطروهم بأسلحة الدمار من البر والبحر والجو...، كل ذلك على شعب محاصر في أرض ضيقة أكثر من ثماني سنوات..، وحسبنا الله ونعم الوكيل.. إذا كان الحبيب الأعظم يُواسي آل ياسر وهم يعذبون في بطحاء مكة آنذاك، وهم لا حول لهم ولا قوة، والبلاء يُصب عليهم صباً. فيقول: "صبرا آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة"^(٤) "فإنا نقول لأهل غزة -طمعاً بوعده الله-: "صبراً آل غزة فإنَّ الموعد الجنة."

أيها الأحبة الكرام: اسمحوا لي في هذه الدقائق المباركة أن نقف أمام حقائق قرآنية؛ لنفهم جيداً ما يدور على أرض الشام، على أرض فلسطين بالذات..، سنجد بها جميعاً إجابات لأسئلة لم يُجب عليها المحللون السياسيون والعسكريون. سنجد إجابات لأسئلة كثيرة تدور في خلدنا ونفوسنا.. سنجد في كتاب الله إجابات واضحة وحقائق ثابتة..^(٥)

الحقيقة الأولى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، ولن يجد المؤمن مشقةً في إدراك هذه الحقيقة في تاريخ اليهود المعاصر فقط، فعشرات المجازر الوحشية -فضلاً عن تاريخهم الغابر منذ بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم- كافية في بيان ذلك! وفي هذه الحرب القائمة يفتخر جندي يهودي . قبل أيام . بأنه قتل ثلاثة عشر طفلاً فلسطينياً!..

أما الحقيقة الثانية: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، فهم كلما عقدوا أسباباً يكيّدون بها الإسلام وأهله؛ هياً الله من يطلها الله ويرد كيدهم عليهم. وهذه الحرب الأخيرة نموذج واضح في تجلي هذه الحقيقة، فلقد ظن اليهود وأعدائهم أن مسلمي فلسطين شعبٌ يمكن تجويعه

وقهره وإذلاله بأساليب الحصار، فإذا به يكون أقوى ما كان طوال سنوات الجهاد والرباط والمقاومة ..

الحقيقة الثالثة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وهذه الآية جاءت في سياق فرض

الجهاد كما هو ظاهر، وصدق الله! فلقد ذاق الفلسطينيون-

والغزاويون تحديداً- الأمرين من الحصار الظالم الذي فرض عليهم

ابتداءً منذ عام ٢٠٠٦م، فاختر الفلسطينيون في غزة مبدأ المقاومة

والدفاع، فنشأ جيلٌ كبير . من أطفال الحجارة . تربي على أن "الشهادة

طريق الحياة"، فصار هذا الجيل يفتخر بأعداد من يموت منهم في هذا

السيبل، فأخذ هذا الجيل على عاتقه الجِدَّ في إتقان العمل العسكري

من جانبه الميداني والتقني. ومن تابع أخبار القتال في هذه الحرب

الأخيرة أدرك التقدم التقني الذي أدهش العالم رغم الحصار

والتجويع!! يوضّح ما سبق:

الحقيقة الرابعة: ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ

وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [الفص: ٥] فالقرآن صريح، والتاريخ

شاهد بأن التمكين لا يمكن أن ينتج في بيئات المترفين، المنغمسين

في اللذات والشهوات! بل لا يمكن أن يقوم إلا على أيدي أناس

يسترخصون الموت في سبيل الله، ويعشقونه كما يعشق عدوهم

الحياة، ولا يتحقق التمكين إلا على أيدي مَنْ: ﴿لَا يُرِيدُونَ غُلُوبًا فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. والأقصى المبارك . وفلسطين عامة . لن
تتحرر من رجس يهود إلا على أيدي: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي
الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

الحقيقة الخامسة: أن الانتصار الحقيقي هو انتصار المبدأ، والصبر
عليه أمام العدو، وإن أثنى العدو فيه الجراح، وقتل ما قتل، - فقد
قتلوا (١٨٠٠) فأكرم الله أهل غزة في ذات الوقت (٤٥٠٠) مولود... -
لكن الألم موجود في الطرفين، كما قال الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي
ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ
اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، إلا أن أناساً
عميت بصائرهم عن حقائق القرآن، فحاسوا الانتصار العسكري بعدد
من يقتل من الطرفين! والقرآن يبطل هذا الفهم، فإن الله وصف
إحراق أصحاب الأخدود عن بكرة أبيهم: "بالفوز الكبير"، وقال
تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ﴾ وفي قراءة: (وهي الشاهد): قُتِلَ
﴿مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. ويأتي بعض المنافقين
من صهاينة العرب والعجم . واغترّ بهم بعض الجهال . ليتحدث بكل
وقاحة، متجرداً من كل مروءة ليشتت بالجهال من أهل الرباط،

وليقف صفاً واحداً مع الصهاينة المعتدين، فصار من حيث يشعر أو لا يشعر رداءً لليهود على المسلمين. وهذا التصهين المخزي ظهرت معه حقيقة قرآنية أخرى، وهي:

الحقيقة السادسة: فقد مارس المنافقون الأوائل دورهم في تنبيط

المسلمين وخذلانهم والتسخر منهم - حين دعى داعي الجهاد، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على النفقة والبذل - وما رسوا بعد ذلك هوايتهم المفضلة بالسخرية من المتصدقين الذين لم يجد بعضهم إلا الشيء القليل، واليوم يسخر أحفادهم - أحفاد المنافقين - من أسلحة المجاهدين المتواضعة قياساً على الترسانة التي تملكها إسرائيل :

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا

يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ {التوبة: ٧٩}، فتأمل في: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ ما أشبهه

الليلة بالبارحة! وصدق الله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ

لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ﴾ {محمد: ٢٩} "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ" أحسب هؤلاء أن الله لن يهيئ الفرصة المناسبة لفضحهم

وكشف أقنعتهم.. لقد خيب الله ظنهم؛ فقد أخرج الله ما في

صدورهم.. كشف الله ما يخبؤه الحاقدون من ساسة وإعلاميين

وغيرهم.. فضح الله المتصهين توفيق عكاشة (٦) وغيره ممن

تعرفون.. كله بفضل صبر ورباط المجاهدين هناك..

اللهم انصر إخواننا المستضعفين في غزة.. وفي كل مكان يقاتل فيه
لنصرة كتابك وسنة حبيبك... الوقت يمر بنا مسرعاً، ولا أريد أن
أطيل على حضراتكم..
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين

تخريج وضبط لخطبة:

غزة لحقائق ودروس ووقفات بعد الهدوان

- (١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٣٠ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد
الناشر دار الجليل. سنة النشر ١٤١١ هـ
- (٢) قال الحافظ الهيثمي: أخرجه الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ عَنْ أَبِي
أُمَامَةَ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ٢٨٨. برقم (١٢٢٤٨) المحقق: حسام
الدين القدسي. الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة. عام النشر:
١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

(٣) قال رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق، "عاموس يدلين"، إن الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة لم تحقق أهدافها التي وضعت لها وأن حركة «حماس» خرجت «قوية» من المعركة...

http://www.palestineafree.com/index.php?id=25968#.U-l76ON_tE8

(٤) قال المحافظ السيوطي: أخرجه الحارث كما في بغية الباحث، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر. جامع الأحاديث برقم (٣٢٠٣٣)
(٥) انظر مقال الدكتور "عمر بن عبد الله المقبل" حقائق قرآنية في حرب غزة... بتصريف

(٦) فقد شن الإعلامي توفيق عكاشة، هجومًا ضارًا على المقاومة الفلسطينية، مستنكرًا تمسك حركة حماس، بفتح المعابر ووضعها تحت الإشراف الدولي.

وقدم «عكاشة»، خلال برنامجه «مصر اليوم»، المذاع عبر فضائية «الفراعين»، الشكر لإسرائيل على ما تفعله في الشعب الفلسطيني من قتل، قائلًا: أنا برفع القبعة لإسرائيل، وأقول لجيش وشعب وقيادة إسرائيل أنتم رجال». وسخر الإعلامي من الدم الفلسطيني، قائلًا: «أنتم أتقتل من عندكم ٣.. قتلتم قصادهم ٣٠٠.. مش عارف

يموتوا زي ما يموتوا».

من صفحات خطاب الجمعة